باختصار، إنّ غاية البراغماتية الجديدة الصّرفة ـ أخلاقية وسياسة الديالكتيك الهيغلي المشدود إلى أبعد مدىً منطقي له ـ هو فصل أية أرضيات تساهم في التقييم النقدي لتلك الأحكام المسبقة، البؤر العمياء أو البواعث الأيديولوجية التي تسكن خطاباتنا المتعلقة بازدواجية القوة/ المعرفة. وإذا حدث وكان البراغماتي الذي يتحدّث، مثل رورتي، قد انطلق من موقع متميّز أو من ثقافة مرموقة مهيمنة تمتلك القوة لفرض قيمها ومعتقداتها على نطاق شبه عالمي، عندئذ يكون ثمة سبب للتشكيك بأنّ مصالح أخرى، تسند خفيةً الخطاب الجمعي الليبرالي. أحد هذه البواعث ـ كما يلاحظ إيغلتون ـ هو التنكّر لفكرة "الأيديولوجيا" (بما في ذلك النقد الأيديولوجي) باعتباره ينتمي إلى خطاب يُنظر إلى افتراضاته التأسيسية وكأنها، فلسفياً، ساذجة، و سياسياً، لاتقارب الحقيقة، خاصّةً وأننا انتقلنا مؤخّراً إلى مرحلة "المحادثة الثقافية"حيث لاتعني هذه الأفكار شيئاً ضمن إطار الفاعلية الإقناعية. على أية حال، يختار المرء أن يشخّص هذه المرحلة ـ "مابعد حداثية"، "مابعد تنويرية"، "مابعد فلسفية"، "مضادّة للتأسيسية"، "براغماتية جديدة"، و غير ذلك ـ بأنها لاتفسح مجالاً للفكرة القديمة التي تقرّ بأنّ النقد يمكن أن يخرج بأسباب رصينة لرفض هذا البند أو ذاك من معتقد مقبول اجتماعياً. و في حالة كهذه، لانملك أي خيار آخر سوى الموافقة مع تكهّنات بودريار النهائية، أي طرحه القائل ـ وهذا يرتقي إلى مصافّ ميتافيزيقية افلاطونية معكوسة ـ أنه "لم تعد مسألة تمثيلٍ زائفٍ للواقع (الأيديولوجيا)، بل وقضية طمس حقيقة أنّ الحقيقي لم يعد حقيقياً."(٢٦)

لقد سعى بعض المفكّرين اليساريين ـ فريدريك جيمسون من أبرزهم ـ إلى البحث عن نظرية تتطرّق إلى هذه "الحالة مابعد الحداثية" وتتعامل معها بوصفها تماماً معطىً فكرياً، أو نتاجاً للتطورات الإقتصادية والإجتماعية الراهنة (أقصد، الرأسمالية المتأخّرة)، في الوقت الذي تستمرّ فيه بإعطاء فسحة لبعض أشكال النقد والمقاومة.(٢٧) ويبدو لي أنّ ايغلتون أقرب إلى تلك النقطة